مجلة أبحاث نفسية وتربوية ———— العدد 10- جوان 2017، مجلد ب، ص.ص.301-321

تصوّرات الطالب الجامعي للتربية على المواطنة

أ. رداف نصيرة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة سكيكدة- الجزائر

ملخص
التصوّرات الاجتماعية،من الأدوات التي مافتئت تتطوّر منذ الإرهاصات الأولى لظهورها منذ أن بدأ الاستثمار في مجالات البحث العلمي؛الإنساني والاجتماعي. والتي منها البحث في مجال التعليم الجامعي،كقنـــاة رائدة في إكساب المعرفة ونقل القيّم والتراث الحضاري عبر الأجيال المتعاقبة والتي منها قيّم ومبادئ المواطنة التي تؤسس للراوابط الاجتماعية داخل المجتمع الديمقراطي.
الكلمات المفتاحية: التصورات الاجتماعية،المواطنة،التعليم العالي،الطالب.

Résumé
La notion des représentations a connu un large développement dans le domaine des sciences humaines et sociales. Son champ d'investigation n'a cessé de s'élargir sur des thèmes qui touchent la vie sociale et économique de l'individu , d'où les valeurs relatives à la citoyenneté qui constituent le lien social dans une société démocratique.
Les mots clés : Représentations sociales, Citoyenneté, Enseignement supérieur, Etudiant.

مقدمة

المواطنة،من المتغيرات التي تبلورت عبر التحولات التاريخية

© مخبر التطبيقات النفسية والتربوية- جامعة قسنطينة 2- 2017

المتتابعة،مذ أن وعى الإنسان حقوقه وطالب بها. فاقترنت بحركة النضال لأجل العدالة الاجتماعية،الديمقراطيات المساواة، اللاتمايز، الحريات... ثم تصاعدت هذه المطالب للإسهام في وضع أسسها وفتح أفاق المشاركة الفعالة لترسيخ قيّمها ومبادئها وسبل ممارستها،حتى يتحقق النظام العام وتصان الحقوق وتحترم الحياة السياسية والاقتصادية وتنمى المقوّمات الاجتماعية وتتعزز الوحدة الوطنية ويُسترجع إن صح التعبير- حب الوطن- والاعتزاز بالانتماء إليه وعدم الاستهتار بقدرات المواطن وإمكانياته. بل الاعتراف الكامل وغير المنقوص بمواطنته وتقدير إرادته،ما دام أمام وضعية قانونية سليمة.وحمايته وتوفير أمنه وصون كرامته وحفظ صحته البدنية والنفسية والذهنية والدفاع عن حقوقه المشروعة في الحياة الكريمة، دون تمييز عنصري أو عرقي أو ديني.أو مصادرتها لدواعي قد تكون واهية وغير مبررة، لمجرد الاختلاف في الرأي أو الفكر أو الأيديولوجية...

1-المداخل المفسرة لمفهوم المواطنة الحديثة

ارتبط مفهوم المواطنة*بحق المشاركة الفعالة في الحياة العامة.فتبلور عند الليبيراليين كنسق قيمي.ثم بدأ تطبيقه واقعيا في المجالين الاقتصادي والسياسي.ونتج عن ذلك ترتيبات اجتماعية وعلاقات إنسانية (1) أفرزت مفهوما،تنوَع وفق التيارات السياسية والخلفية الفلسفية والمقاربات النظرية.وتأثر بمستوى النضج الفكري النفسي والتطوّر الاجتماعي الاقتصادي والقيّم المتوارثة والمتغيرات المحلية والعالمية.(2) فانتقل من الانتماء للمكان إلى الانتماء للمكان والجماعة معا،ثم للدولة الوطنية.واليوم أصبح الحديث عن المواطنة العالمية التي تدعو إلى إلغاء التخوم الجغرافية والموروث الثقافي الحضاري.

وبالرجوع للقاموس العربي نجد المفهوم،يُستُعمل لغويا وأدبيا،كما يقول ابن منظور في لسان العرب في إشارة إلى المنزل الذي يقيم فيه الفرد أي محله.وأوطن الشخص،أرضا ووطنها واستوطنها،اتخذها وطنا.(3) ووطن وطنا،أقام به. والجمع أوطان والمصدر "واطن"على

وزن"فاعل". والمواطنة على وزن"المفاعلة" ويحيل للـمعنى اللغوي القريب من مصطلح المعايشة والمرافقة والمشاركة في مكان الإقامة.(4)

وبالرغم من قدم الكلمة في اللغة العربية،إلا أنها لم تخضع للدلالة السياسية،ولم تنطلق من معناها التاريخي،بقدر ما رضخت بطريقة تعسفية اعتباطية للتنظير الغربي منذ أواخر القرن الثامن عشر،حينما استعملت لأول مـــرة في تقرير سـفير الامبراطورية الـــعثمانية في العاصمة باريس غـداة الثورة الفرنسية،إذ اعتمدت كترجمة لكلمةPatrie الفرنسية(5). بيد أنه لم يُشرع في تـداول المصطلح ســـوى في القرن التاسع عشر،عنـدما بدأت تتضح الأيديولوجيـــات الأوروبية في سياق الخطـاب السيـــاسي العربي. ومن ثم،تـــأسست تصوّرات جديدة للمعطى المتمثل في مفهوم الدولة،فاستُحدث قاموسا سياسيا مـغايرا لـــذلك التقليدي(6).

وثمة إشكالية تتعلق بدقة المصطلح في الطرح اللغوي العربي الذي يعاني من تضارب رؤيتين؛الأولى تثير قضية الاستعمال الذي قلما يكون في الوعي الجماعي، وحُصر معناه في الإشارة لأبناء الوطن أو الأتباع أو الرعايا.أمر أبعد عن الذهن التعاطي معه كبناء حضـــاري إنساني يتجاوز المجتمــع الــعضوي للمجتمع المدني،وينطلق من حق المواطن في المواطنة (7).

خلافا لهذه الرؤية،نجد أخرى،يـعبر أصحابها عن المحتوى المتضمن في الطرح الغـربي، والتي أقرنت استخدامه بالسعي إلى المساواة والمطالبة بالحقوق العامة مقابل المسئوليات الواجبة على كل من يحمل جنسية الدولة. وأكدت على أن تبنـي المفهوم في صياغته الغربية يقرب للذهن العربي فكرة المواطنة(8).

ويثير من جهته برنارد لويس هذه الإشكالية،حيث يرى أن المفهوم غريب عن الفكر العربي الإسلامي،ولم يُستعمل أساسا في اللغة العربية ويخلو من أي مضمون أو إيحاء للمقابل له في السياق الغربي(9)،بسبب

غياب فكرة المواطنة كعملية مشاركة والمواطن كمشارك،تخاطبه القوانين والدساتير الحديثة،وتؤكد على حريته،تحافظ على كرامته ومساواته بمواطنيه،بغض النظر عن جنسه،دينه،لونه،عرقه...

وعندما تعرّف المواطنة على كونها كيان قانوني،المقصود بذلك جانب الممارسات التي تنظمها المواد القانونية**على مستوى علاقة المواطن بمواطنيه وعلاقته بالدولة.أي بين شخص طبيعي ومجتمع سياسي.تتحدد عن طريق مواد يحكمها مبدأ العدل والمساواة – نظريا على الأقل -،تَسنها المؤسسات الرسمية المكلفة بهذا الشأن.وتعززها موافقة الشعب من خلال الاستفتاءات والانتخابات العامة أو التمثيلية، كي تصبح قابلة للممارسة الفعلية والتطبيق الصارم،كي تُكفل الحقوق والحريات العامة والخاصة دون تمييز من أي نـــوع،في مقابل جملة من الواجبات،المحددة أيضا قانونا في ذات الوعاء،بما تقتضيه من أسباب الأمـن الاجتماعـي،الاقتصادي،السياسي...من هذه الواجبات نذكر التقيد بالقوانين واحترام الرموز،الحفاظ على المال والأملاك العامة والخاصة،الدفاع عن الوطـــن من أي تهديدات خارجية أو داخلية.ومن خلالها يقدم الطرف الأول الولاء ويتولى الثاني الحماية(10).

والمواطنة،على هذا،انتماء لدولة يستقر فيها المواطن بشكل دائم،يحمل جنسيتها،يشارك في شئونها،يخضع لقوانينها،يتمتع بمجموعة الحقوق ويلتزم بالواجبات الموكلة له(11). والمواطن،حسب المفكر جوزيف دي ميستر:"أحد أصحاب الحقوق القانونية،يتمتع بالحريات الفردية،يقع عليه الالتزام باحترام قوانينها والقيام بواجباته"(12).

ونؤكد أن مفهوم المواطنة،يرتبط بالاحترام الصارم والدقيق للقوانين،بضمـان عدم تخطيها أو الدوس عليها وتكليف المؤسسات الـــمخصصة في كشف التجاوزات ووضع حـــدا لها. ففي المجتمعات الديمقراطية تستقر في الأذهان فشل انتهاكها من أي كان،لأن السلطة والمواطن يضعان معا حدا للمساس بالمجال العام والخاص على السواء.بترسيخ ميكانيزمات تفرض حتمية الموازنة بين المصلحتين؛مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد(13).

بيد أنه،وبالرغم من تعدد المداخل التي حاولت تحديد المفهوم أو على الاقل ضبطه،إلا أننا نلاحظ اختلاف داخل المقاربة العلمية الواحدة،لاختلاف القراءات.إذ لا يوجد نموذجا يمكن اعتباره الأمثل في تشريعات الدول وقوانينها.فكلها تقريبا تحمل أبعادا طائفية وعرقية وآراء سياسية وفقهية،والتي لا يمكن قراءتها وفهمها ونقدها بمعزل عن الظروف المحيطة. فلا تأصيل للمفهوم باعتباره نتاج فكر واحد،بل بالنظر لتأسيسه وتطوره في أحضان فكرية متعددة،تختلف تبعا للخلفية الايديولوجية،العلاقات الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية...

والمقارنة بين مسيرة المواطنة في سياقها الغربي والمواطنة في سياقها الشرقي،يؤكد هذا الاتجاه. فمفهومها عند الغرب ثابت الأركان عميق الجذور التاريخية،يتمتع بقدر كبير من الوضوح.لكن في الشرق،وعلى الرغم ما تنطوي عليه المواثيق من مواد مؤكدة على حقوق المواطنة،تبقى شكلا دون مضمون بسبب الانفصال بين النص الدستوري وواقع الممارسة الذي تفضحه المركزية الواضحة والإعلاء من شأن السلطة التنفيذية على حساب السلطتين التشريعية والقضائية.حيث ينتابه،ليس فقط الاختلاف والغموض لكن الجهل به وبتجلياته. فنجد الطالب الجامعي لا يستطع تحديده تحديدا دقيقا،لأنه لا يأخذ نصيبه من الاهتمام في التنشئة الاجتماعية والسياسية،كما أن مؤسسات التربية،تتناوله كمفهوم طقوسي لابد منه، كي لا تتعرض للنقد أو الاتهام بالإهمال،دون أن يواكب ذلك ممارسات فعلية أو تكريس ثقافة مستديمة تتطابق فيها المناهج النظرية مع الممارسات التطبيقية.وتجلى في السلوكيات اليومية والتصرفات التلقائية.وما يؤكد هذا الطرح،المشاهدات والملاحظات المتكررة،ناهيك عن الدراسات العلمية

التي تؤكد جلها الخلط بين مفهوم المواطنة الأكاديمي وبين المفاهيم المشابهة له.

هذا التداخل حتم علينا الإنكباب على موضوع المواطنة بالدراسة والبحث.فارتأينا تناوله من خلال تصورات الطلبة لإسهام الجامعة في تربيتهم عليها.كونها نمط من أنماط التنشئة الاجتماعية،تقوم بها مؤسسات التربية الرسمية وغير الرسمية.تؤسس للفعـل وترسم خطوات السير وغاياته،مما يجعل الوعي بقيّمها ومبادئها هدفا تربويا جوهريا(14).فجاءت الحاجة إليها حفاظا على علاقات الأجيال المتعاقبة وجودة أدوات وطرق ممارستها.

هذا من جانب، من جانب آخر،يفترض جدواها وأهميتها ضرورتان متلازمتان؛ ضرورة مفروضة من خارج الجامعة،دون أن تكون خارج مسئوليتها أو بمعزل عن أهدافها.وضرورة مفروضة من داخلها.فلا يمكن أن تكون معزولة عن الواقع الاجتماعي،أو تتجاهل الظروف التي يحياها الطالب،وتحصر مهمتها داخل حدود التلقين والاكتفاء بهذا الدور(15). ومن ثم عرّفت الموسوعة العالمية تربية المواطنة على أنها:"ذلك الجزء من المنهج الذي يجعل الفرد يتفاعل مع أعضاء مجتمعه على المستوى المحلي والوطني.ويتجه إيجابيا نحو السلطة السياسية والانصياع لأنظمة وأعراف المجتمع والإيمان بقيّمه ومعتقداته (16). وإذن،هي تربية مشروع مواطن فاعل وواعي.

2-الأهداف المتوخاة من التربية على المواطنة

تقتضي تربية المواطنة، تسطير مجموعة من الأهداف،تتم ترجمتها لمحتوى ونشاط وخبرات متنوعة،ذات صلة بزيادة الوعي بقضايا البيئة الوطنية،تشجع على العمل التطوعي وتساهم في أنشطة المجتمع المدني...فتتفتح على التجارب والتطبيقات الميدانية وتشمل كل مظاهر الحياة وتتحوّل الى مركز متعدد الأنشطـة التربوية(17)،فتُعمق محبة الوطن باعتباره خيرا عاما وملكا جماعيا مشتركا وتُعزز الشعور

بالانتماء والولاء إليه وواجب الحفاظ عليه والاعتزاز به والدفاع عنه.(18)

لكن هذه الأهداف لا تتحقق بمجرد تسطيرها وإدراجها في الوثائق الرسمية وتضمينها جملة من المقرارات والكتب المدرسية وإعداد رجالات التربية وتهيئة المجتمع التعليمي من أجل ترجمتها لإجراءات عملية وتحقيقها على أرض الواقع.فبدلا من أن تبقى المواد المدرسية قابعة في ذهن الطالب بجوار مواد أخرى،تتجاوز علاقة التجاور الى علاقة التفاعل.كونها ليست مجرد تعليمات تضاف الى التعليمات المدرسية الأخرى،بله تذهب فـــوق المكتسبات،

وتــسعى لتغيير دلالة المواد وإعطائها أبعادا،تلتحم فيها المعرفة بالممارسة،وتتخذ شكل مهام وتـحمل المسئوليات.(19)حيث بينت تجارب أنظمة التربية المختلفة،أن تحقيق الأهداف المتوخاة منها،لا يتم فقط بالترويج للخطاب الحامل لمضامينها ولو ضمن مناهج متطورة.إذ التوجه المعاصر أصبح يركز أكثر على دور التنظيمات التعليمية والابتعاد عن ربطها بمحتوى مادة أو مـواد معينة،لأنه يفترض كـل المواد حاملة لقيّمها سواء بشكل مـباشر مثل تطعيم المنهج بمضامين المواطنة أو غـير مباشر تعكسها العلاقات التربوية واستراتيجيات التدريس التي تَعُد المواطن حتى يكون متفتحا على الآخر،متفاعلا مع الأحداث،متسامحا ومساهما في غرس السلوكيات المدنية وإرساء دعائم الديمقراطية...ولنا في وزارة التربية اليابانية مثلا حيا،فهي لا تضع مادة دراسية مستقلة تحت مسمى التربية الوطنية أو تربية المواطنة،وإنما تُضّمن موضوعاتها معظم المواد وتطعمها بجملة من الأهداف. وعليه،لابد من تسطير منهاج فاعل،يتيح للمؤسسة التربوية القيام بمسئولياتها كاملة لأجل بناء طالبا صالحا ملتزما بالقيّم المستهدفة،قادرا على التخطيط والتفكير العلمي وترسخ لديه عادات واتجاهات مفيدة نافعة،تزوده بالمهارات الضرورية.حتى يستطيع المساهمة في حل مشكلات الوطن.(20)فنجد **طوماس جيفرسون** عند تأسيس التعليم العام في الولايات المتحدة الامريكية، يؤكد على أن الهدف منه الإعداد

للمواطنة،لأن تعليم الحرية والمسئولية لا يتأتيان بالفطرة، وإنما بتعهدهما ورعياتهما،حين يتحددان بالقانون والتربية المدنية(21).

والحديث عن الدور الجامعة في التربية على المواطنة، دورا رائدا في توفير بيئة تعليمية جيدة وإرساء ثقافة الحوار وتنمية الوعي بتدريب الطالب على التفكير والإبداع والقيادة واحترام الآخر،لأنه يتملك طاقة ذهنية تسهل عليه مباشرة النقاش والتحليـل،خاصة وأنه أكثر تخصصا وأغنى تجربة من تلاميذ المدارس.فقد تعلم قيّما تعزز وترسخ قيّم المواطنة بدأ من الأسرة،فالمدرسة،فالنوادي...لتتسع بعدها إلى فضاء الجامعة الأرحب.(22)

وتربية المواطنة في مرحلة الجامعة،لا تقل أهمية من التربية في المراحل السابقة عليها.إذ يفترض أن تتم بصياغة مناهج،يمكن من خلالها إعداد الطالب المواطن،وإتاحة فرص اكتساب مهارات التفكير الجيد.فأكد خبراء التربية(تورنتو1998)على أن رسالة الجامعة الرئيسة،إرساء تربية مواطنية طويلة الأمد.تمكن الطالب من التنمية الاجتماعية والاقتصادية بتعليمه حس المواطنة وغرس روح المبادرة لديه ونشر المواثيق الدولية المتعلقة بالعدالة، المساواة،الحقوق الأساسية(23). فهناك مجموعة من المعارف الضرورية التي تفرض على الطالب،إدراكها واستيعابها والاستنارة بها،لتوظيفها في فهم مكوّنات المحيط وعناصره وحاجياته والمشاركة في إعادة بنائه،حتى يستطيع ممارسة دوره المواطني المُلقى على عاتقه ويعزز المبادئ والقيّم الإنسانية والحضارية المسطرة في المناهج التربوية الجامعية، والتي يمكن أن تضمن السير الحسن لتربية المواطنة.لأنه، وكما تعرفه منظمة اليونسكو في دورتي باريس(1997/11/21) و(1999/11/27)"برامج دراسة أو تدريب على البحث العلمي، توفرها المؤسسات التي تلي المستوى الثانوي.معترف بصفتها من قبل السلطات المختصة أو بموجب نظم التصديق(24).لتخريج للحياة العامة شخص تمكنّه كفاءته العلمية من القيام بمهام معينة.

3- الخطوات الأمبريقية المتبعة في الدراسة

تعرَف التصورات الاجتماعية على أنها:"طريقة تفسير وترجمة الواقع الاجتماعي.وشكلا من أشكال المعرفة التي تلازم النشاط العقلي للأفراد والجماعات لتثبيت موقفهم إزاء حدث، موضوع،فكرة،شخص(25).إنها أنظمة تدير علاقتنا بالعالم والآخر،توجه سلوكنا واتصالاتنا الاجتماعية".كما تنظر إليها جودلي على أنها:"معرفة مؤسَسَة ومشتركة اجتماعيا.لها رؤية تطبيقية للواقع المشترك"(26).

وإجرائيا:"هي مجموعة منظمة من معارف الحس المشترك والمعلومات الخاصة ذات محتويات متقاسمة اجتماعيا تبرز الفعل الوظيفي الخلاق في تصورات الطالب الجامعي وفق معايير ونظم المجتمع الجزائري إزاء إسهام التعليم الجامعي في تربية على المواطنة. والكشف عنها بالاعتماد على تقنية السكيمات المعرفية القاعدية".

والتصورات الاجتماعية،إذن مـــوضوع بحث واسع،يعتمد على تقنيات تجاهد على معالجتها معالجة علمية حتى تؤسس لمعارف منتجة،(27)تقتضي جمع البيانات وتحليل النتائج.فحدد **جون كلوذ آبريك** (1994) أسلوبين لهذا الغرض؛الأسلوب الاستفهامي وأسلوب التداعيات.وما يهمنا الأسلوب الثاني،ذو الطابع التلقائي الذي يمكّن من الاقتراب من النواة المركزية.(28) وهو الهدف مـــن دراستنا بالاعتماد على تقنية السكيمات المعرفية القاعدية Les schèmes cognitifs de base(SCB) التي اقترحها **جيملي& روكات**(1992) لجعل العميل المنتج الفعلي لإجاباته.حيث تعرض عليه عبارة الحث،ويطلب منه استدعاء بأسرع ما يمكن ثلاث إجابات (ج1/ج2/ج3)ليقرر؛إن(نعم/لا/ربما)توجد علاقة متعددة بين بنود الاستمارة وإجابته الخاصة، ثم يبرر اختياره لكل إجابة في أسطر معدودات،(30) بعدها يعالج المعطيات بجمع تكرارات الإجابات الإيجابية.ويُحدد مؤشر التكافؤ الذي يتراوح ما بين[1-0].فيعبر [0] عن عدم وجود أي إجابة إيجابية على بنود الاستمارة،في حين يعبر [1]

الصحيح عن إجابـة إيجابية عليها جميعها دون استثناء.والملاحظ أنه كلما كانت التكرارات مرتفعة دل ذلك على نشاط الروابط القوي.

4- عينة الدراسة والمجتمع المنبثقة عنه

طبقنا هذه التقنية على عينة متكوّنة من طلبة جامعات قسنطينة الثلاث،جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة وجامعة محمد العربي بن مهيدي أم البواقي.وهي من نوع العينة العشوائية الطبقية لنضـمن حضورها بنسب سليمة إحصائيا،لأن مجتمع البحث موزعا توزيعا متنوّعا. ونعطى لجميع المفردات فرصة ظهور متساوية.وقد حسبناها بأسلوب التناسب الذي يستدعي تقسيم المجتمع لطبقات،اعتمادا على معادلة ويلسون وفراند Wilson and Freund (1997) لتحديد حجمها الذي بلغ 150 مفردة(من أصل 1573)،52 بنسبة 35% لعينة الذكور مقابل 98 بنسبة 65% للإناث.ثم قسمنا عينة الذكور والإناث الى مجموعتين متساويتين،حيث بلغت كل مجموعة 26 و49 مفردة على التوالي.والتقسيم احتمالي اعتمادا على طريقة القرعة،ليسهل علينا معالجة المعطيات المتحصل عليها ومقارنة المجموعات. حيث عرضنا على المجموعتين الأولتين من الجنسين العبارة المركزية"الأنشطة الطلابية" وعلى المجموعتين الثانيتين العبارة المحيطية "المقرارات الدراسية".

5- تصورات العناصر المركزية في تربية الطلبة على المواطنة

حتى ننفي أو نؤكد الفرضية التي مفادها:"لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية بين الجنسين عند مستوى0.95 ومستوى 0.99،-بتطبيق تقنية السكيمات المعرفية القاعدية-لتحديد قوة التكافؤ التام في العبارة المركزية " الممارسات الميدانية " أو في العبارة محيطيـــة "المقرارات الدراسية " في تصوّرات طلبة الجامعات مجال الدراسة.

طرحنا هذه الفرضية للإجابة على الإشكالية:"في أي من النظامين؛المركزي أو المحيطي تبرز قوة التكافؤ التام المحدِدة لتصورات تربية الطالب الجامعي على المواطنة"؟.

انطلاقا من أنه في العناصر المركزية،يحتفظ التكافؤ التام بوضعيته،سواء كان الأفراد في حالة نشاط أو حياد.وهذا يتفق وما جاءت به نظرية النواة المركزية،التي تتوقع استقرارا كبيرا لعناصرها،ما يجعلها غير متأثرة بنتائج السياق.في حين،وعلى العكس من ذلك،تتأثر العناصر المحيطة جدا بنشاط العناصر المفرطة،فتتميّز تحت هذا الظرف بتكافؤ مرتفع، يتجاوز-لو تواجدت في حالة حياد أو نشاط -بخطوات واسعة العناصر المركزية. والنتائج المتمثلة في الجدول الموالي (رقم 1) يوضح الأمر.

جدول رقم (01) يمثل التكافؤ التام عند مفردات العينة

التكافؤ التام		
الجنس	ذكور	إناث
المجموعة الأولى	0.54	0.49
المجموعة الثانية	0.45	0.46

إن قيمة التكافؤ التام في هذه الدراسة،في حدود المتوسط عند المجموعتين الاولتين من عينتي الذكور والإناث اللتين عُرضت عليهما العبارة المركزية.وأقل من المتوسط عند المجموعتين الثانيتين اللتين عُرضت عليهما العبارة المحيطية.أمر يمكن تفسيره بتعدد العلاقات نسبيا داخل حقل التصورات بين عبارتي الحث والإجابات الإيجابية.ويمكن تأكيد هذا المعطى من خلال التكافؤ التام.الذي أثبت أن بعض العناصر المحيطية تميّزت بتكافؤ أقرب للعناصر المركزية.لكن العلاقة بين الإجابات الإيجابية وتداعياتها الحرة، متنوّعة وثرية لحد معيّن لكن ليس بالقوة المطلوبة.لكن،وبما إن التكافؤ التام مؤشرا حساسا لتقييم

مركزية عناصر التصورات نوعيا وليس كميا،لأنه لا يمكن تحديد موقعها إن مركزيا أو محيطيا أو محيطيا مفرط النشاط،والحكم على قوة تأثيرها على التصوّرات،فلجأ **راطو** و**روكات** لتشخيص بُعد التكافؤ كشعاع يحدده مؤشر لاندا λ.

ولأن القاعدة تشير أنه كلما كانت لاندا λ قريبة من[1] الصحيح،عُدت كلمة/ عبارة الحث عنصرا مركزيا.وكلما كانت أكبر،عُدت عنصرا محيطيا(30)،وعليه، فإن عبارة " الممارسات الميدانية"،مركزية عند المجموعة الأولى من عينة الذكور ومحيطة عند ذات المجموعة من عينة الإناث لأن قيمتها بلغت0.93 و1.04 على التوالي.في حين اعتبرت عبارة"المقرارات الدراسية" عبارة محيطية في تصوّرات المجموعــة الثانية من الجنسين بقيمة λ التي بلغت 07.1 و1.12.

بيد أن هذه النتيجة،لا تؤخذ على علتها،لأنها لا تدل قطعيا على مركزية العنصر،فلجأنا رفعا للبس إلى حساب قيمة الارتياب (الشك) λΔ التي تشير قاعدتها إلى أن عبارة الحث مركزية إذا:λΔ-1 ≥ λ ≥ λΔ+1(31)،حيث تحصلنا على قيم 0.095،0.107 و0.073 بالنسبة لعينة الذكور والمجموعة الأولى لعينة الإناث.في حين بلغت قيمة الارتياب Δ 0.098 λ في تصوّرات المجموعة الثانية التي اعتبرت العبارة محيطية مفرطة النشاط على أساس أن قيمة λ أكبر من قيمة Δ λ

إن هذه النتائج أكدت اتفاق كل مفردات العينة تقريبا إزاء إسهام الجامعة في تربية الطلبة على المواطنة.فثبت بحساب لاندا λ وقيمة الإرتياب، أنها (العينة) تتصوّر عبارتي الحث "الممارسات الميدانية" و " المقررات الدراسية"،عبــارتين مركزيتين عند جميع المجموعات، ما عدا المجموعة الثانية من عينة الإناث التي تصوّرت العبارة المحيطية،عبارة محيطية مفرطة النشاط،اكتشفت عند الوصول لآخر مرحلة من مراحل معالجة المعطيات.وهذا يدل على أن عدد معتبر من هذه المفردات تعتقد في مركزية عنصر أو عناصر،عُرضت عليها،على أساس أنها عبارة محيطية.وإذن،يوجد شبه اتفاق في تصوّرات العينة من الجنسين حول إسهام الجامعة في تربية المواطنة.ولا تَفاضل في تصوّرتها بين العناصر محيطية ومركزية.فممارسات الطلبة وأنشطتهم تحمل قيّما معينة،هدفها الأساسي الدفاع عن حقوقهم والسعي لتوفير

الجو الديمقراطي في وسطهم والمساهمة في نشر الوعي الوطني بينهم.ويساعد على هذا المناخ العام داخل الحرم الجامعي.والجدول رقم 2

العبارات	العبارة المركزية		العبارة المحيطية	
المجموعات	المجموعة الأولى		المجموعة الثانية	
الجنس	♂= 26 م	♀= 49 م	♂ = 26 م	♀=49 م
ف1	1172	2015	964	1908
λ	0.93	1.04	1.07	1.12
λΔ	0.107	0.095	0.073	0.098
وضعية العبارات	مركزية	مركزية	مركزية	محيطية مفرطة النشاط

يحوصل النتائج.

جدول (2) يمثل نتائج العبارتين المركزية والمحيطية عند عينة الدراسة

وبالرجوع إلى بعض التفاصيل التي تفسر سر قوة العناصر المركزية نسبيا،مقارنة بالعناصر المحيطية،خاصة عند مفردات عينة الذكور(0.54 *Vs* 0.44) التي تحتفظ بعلاقات متنوّعة وكثيفة مع بقية عناصر التصوّرات،مقابل(0.49 *Vs* 0.46)عند عينة الإناث.إن قيّم روابط التكافؤ التام دالة إلى حد ما،على الرغم من أن النتائج تثبت قوتها عند الذكور،فرابط الديمومة(Car)بلغت قيمته 0.56 مقابل 0.48 عند الإناث.وبلغت قيمة الرابط السببي (Cos) 0.55 و0.49 عند الجنسين على التوالي.ومع هذا تتقارب قيّم روابط أخرى مثل الرابط الغائي(Eff) بقيمة 0.50 و0.51،رغم طبيعة المتغيرين (ذكور/إناث) المتباينة على مستوى الأجهزة النفسية،الجسدية،الذهنية...،والتي يفترض أن لا تستدعي بالضرورة نفس الروابط.لكنها حركت الإرث الثقافي القيمي ذاته عند كل المجموعات ولو بنسب متفاوتة.

هذه القيّم تؤكد أن تربية المواطنة تتم بصفة دائمة في مؤسسات التربيـــة،منها المؤسسة الجامعية(دون التقليل من دور مؤسسات الأخرى). إذ أن نُظم التنشئة التي تسعى لترسيخ وعي الطالب- بغض النظر عن جنسه- بالمواطنة في السلوكيات والممارسات باستجلاء المرجعية الثقافية الحاضنة للقيّم والمعايير الـــمحقِقَة للاندماج الـــوطني.إنها تتميّز بالدوام والاستمرارية لتحقيق الغايات والأهداف من خلال الدور الذي تلعبه.لكن هذا لم يمنع من وجود علاقات متعددة إلى حد معيّن بين العناصـــر المركزيـــة والمحيطية.

بيد أنه لا يمكن الجزم أو تأكيد بالنتيجة والحكم على صدق الفرضية من عدمه إلا بفحص قيمة كا²،حيث جاءت القيمة المحسوبة التي بلغت45.36،أكبر من المجدولة لأن القيمة المقابلة لدرجة الحرية(3)،تساوي 07.82 و11.24عند مستويي الدلالة 0.05 ومستوى0.01. وعليه،يوجد اختلاف في تثمين قوة التكافؤ التام بين العبارتين؛المركزية والمحيطية عند الجنسين.ومن ثم رفضنا الفرضية

الصفرية المطروحة التي تقول بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستويين المذكورين وقبول الفرضية البديلة.

6- تحليل النتائج المتوّصل إليها

كما هو واضح،النتيجة جاءت مثلما كان متوّقعا،حيث أن تربية المواطنة مشروع وطني له مرجعيته الفكرية القيمية والممارستية الميدانية.وأن الاتفاق الذي تؤكده النتائج،يعني أن العينة من هذا المنظور،تتقاسم ذات التصوّرات لانتمائها لنفس المجتمع؛مجتمع الطلبة.وأن مستواها التعليمي الموّحد،قلل لحد بعيد البون بين الجنسين، لأنه يبني شخصية تتموقع داخل مجتمع علمي.تتمتع فيه بتعليم عال وتتعرض إلى ثقافة راقية وتبني تصوّراتها وتديرها متأثرة بالفكر الأكاديمي والمرجعية العلمية المنهجية وتحرك وتتقاسم تقريبا ذات التصوّرات،ما يمكنّها من التعاطي مع قضايا الوطن كشخصية نخبوية،لا فرق فيه بين النوعين،تكريسا لمبدأ الديمقراطية والمساواة في الحقوق والواجبات وفقا لبنود حقوق الإنسان والمواطن...خصوصا مع مظاهر تعالي الأصوات المنادية بتجسيد هذه المبادئ على أرض الواقع.على الرغم من النظرة المغايرة المرتبطة بالثقافة المجتمعية التي تتحفظ بشأن خروج الفتاة إلى الميدان حتى وإن كانت جامعية،تحتم عليها الظروف التعليمية هذا النشاط،تبقى في مجال محدود،فلا تقبل العائلات أنشطة الطالبات داخل المعسكرات والمنتديات والجامعات الصيفية...التي تتوجب فترات زمنية قد تطول خارج المنزل...بالإضافة إلى اختلاف الجنسين من حيث التركيبــة الجسدية- النفسية والواقع الاجتماعي والبناء المعرفي الذي تفرضه طبيعة تقسيم الأدوار وتباين المثيرات التي يتعرض لها كــل جنس،مما يفترض أن يؤدي إلى اختلافات في إدراك الواقع والتعامل معه.

وتأسيا على ما سبق،يمكننا القول أن لعامل الجنس دور في تشكيل تصورات إسهام الجامعة في التربية على المواطنة،فالذكور والإناث يميلون على حد سواء الى اعتبار الجانب الميداني ليس أهم من الجانب

النظري.وهذا راجع لطبيعة التعليم داخل الجامعة الجزائرية التي تذهب بعيدا في الاهتمام بالمجالين.

إن سمات العناصر المركزية،تتمثل في قوة التداعيات ودورها في تفسير ثم تعميم المعاني ووصف الأحكام،القيّم،المعايير،...التي تمكِّن من إقامة علاقات متعددة داخل حقل التصوّر الواحد.فمن غير المعقول الفصل العضوي بين العبارة التي اختبرناها كعبارة مركزية والتي اختبـــرناها كعبارة محيطية.كما أن الاعتماد على جانب أو التركيز عليه دون الآخر،يفرغ هذه التربية من محتواها.ولا يعطي النتائج المنتظرة أو المتوخاة من إدراجها ضمن الإستراتيجية البيداغوجية التي تسعى الدولة لتكريسها انطلاقا من المبادئ والقيّم الأساسية لقيّم المواطنة،التي يحتكم إليها كل المواطنين بلا استثناء على تباين مشاربهم واختلاف توجهاتهم.وعليه،فإن تصوّرات دور الجامعة في تربية المواطنة،عند العينة مجال الدراسة،لم تخضع بالضرورة لعامل الجنس،لتعرض جميع الطلبة؛إناثا وذكورا لنفس التنشئة الوطنية من خلال مناهج التربية المدنية،الدينية، البيئية، الأخلاقية،...التي تضمنتها المؤسسة التعليمية عبر المراحل المختلفة وتتلقى نفس الفلسفـــة التربوية،فتوظف المقررات الدراسية مـــثل المحاضرات،الأعمال التوجيهيـــة والتطبيقية مع الممارسة والخرجات الميدانية المتعددة.أمر يُفسر قوة تكريس البُعد الوطني في تداعيات التربية على المواطنة، كالمساواة، ديمقراطيات التعليم،اللاتمايز،الحريات الأكاديمية،تكافؤ الفرص، ... وغيرها من القيّم المجسِدة لمبادئها الخاصة.

ولأن الجانبين يكملان بعضهما البعض،فإن جانبا منهما قد لا يُحقق أهداف تربية المواطنة وتجسيدها واقعيا بممارسات وسلوكيات تدل عليها،إذا لم يع الطالب أبعادها ويدرك جيدا قواعد وأسس الخلفية النظرية والمقاربات الأكاديمية من خلال الـــمحاضرات والأعمال التوجيهية والتطبيقية.والتي من شأنها أن تفتح أمامه مجالات الفهم الصائب للمعلومات والمعطيات التي يفترض أن تدرج ضمن المنهاج التعليمي،وفق متطلبات التخصص في العلوم الاجتماعية والإنسانية أو

العلوم العلمية والتكنولوجية، كمواد أساسية أو ثانوية،تفتق فكر الطالب وتمكنّه من ثقافة ممارسة السياسة؛كتأسيس الأحزاب والجمعيات،شروط الترشح للمناصب العليا والانتخاب،حماية الحقوق وأداء الواجبات والمسئوليات والحريات،احترام بنود إعلان حقوق الإنسان والمواطن،...،وما إلى ذلك من قيّم ذات علاقة بحسن المواطنة ومبادئها والسير الجيد حين ممارستها.

وبما أن الجامعة تضم بين جدرانها فئات شابة من الجنسين،يفترض أن تجعلها على إدراك ودراية تامة بشئون الوطن وإرثه الحضاري.وباستثمار إمكانياتها النفسية والذهنية والبدنية من مناهج دراسية وأنشطة طلابية،تساهم في فتح المجال أمامها لتنمية المهارات الوطنية والوعي بثقافة المواطنة ومسئوليتها وإفساح طرق المشاركة الإيجابية ومناقشة قضايا المواطن ومسائل الوطن والتخطيط للمستقبل،بتبني المداخل المعرفية التي توضح القنوات الشرعية لممارستها.فلا تتوقف عند حد الإطلاع على قيّمها ومبادئها،لأجل إعداد طلبتها كنماذج لمواطنين مبادرين كل في مجاله.خصوصا في الآونة الأخيرة،مع ازدياد الاهتمام بمعايير جودة التعليم العالي استنادا إلى أنه،وعلى هذا الصعيد،يجري إنتاج المادة والأفكار العلمية المساهِمة في تغيير المستقبل،إلى جانب إعداد الكفاءات المتخصصة .

الخاتمة

تتصوّر العينة أن الجامعة تدرب طلابها على ممارسة قيّم المواطنة من خلال أدائهم وقدراتهم. كما،تعودهم على القيام بأعمال تحقق ذواتهم وتبرز إمكانياتهم وتكرس فيهم حب الامتثال للقوانين المختلفة والنظام لمواجهة حالات الخلل الاجتماعي أو التفكيك والانحرافات. كما تعمل على ترسيخ المبادئ في صورة تربوية مبسطة حتى تُنمى وتصبح بعد عملية معرفية وسلوكيات تدرك من قبلهم والتفاهم والتعاون والقيام بالواجب اتجاه المجتمع. وتـحمُل مسئولياتهم كالمشاركة السياسية وأداء الخدمة العسكرية والانخراط في منظمات المجتمع المدني...حتى ينالوا قسطا من التجربة من خلال الاحتكاك بمجالس،اتحادات الطلبة،اللجان

المتعددة،التي تُعتبر أهم قنوات المشاركة في الحياة الجامعية التي تمكنهم من اتخاذ القرارات المتعلقة بهم كمجتمع جامعي،دون التمييز النوعي بين الطلبة حيث أثبتت النتائج التي توصلنا إليها أن كل من الذكور والإناث تعتقد في أن التربية على المواطنة تتم من خلال تسطير الجامعة للمواد النظرية والتخطيط للممارسات والخرجات الميدانية.فالـجامعة كما هي معنية بإعداد الإطارات لسوق العمل، معنية بإعدادهم لصنع قرارات لا تخلو من مـدلولات قيّم المواطنة.

المراجع

الكتب

1- الصاقوط محمد،المواطنة والوطنية.الموسوعة السياسية الصغيرة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،المملكة المغربية،77،2007.

2- إبراهيم عبد الله ناصر،التوجه الإسلامي للشباب:إيمان الشباب صيانته ووسائل دعمه.مجتمع البحوث الإسلامية،الشركة المصرية للطباعة والنشر،القاهرة،جمهورية مصر العربية،48،1991.

3-هيثم مناع،المواطنة في التاريخ العربي الإسلامي.مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان،أفـــق النشر والترجمة،القاهرة،جمهورية مصر العربية،5،1997.

4-عبد الله الخياري،المقومات النظرية لاكتساب قيم المواطنة الايجابية والتسامح،مجلة علوم التربية.ع 34،المملكة المغرب،يونيو13،2007.

5– Bernard Lewis, Le langage politique en islam.Gallimard,Paris,1998,97.

6-محمد الصغير جنجار،البعد الثقافي للمواطنة(أرضية نظرية أولية). محاضرة " المواطنة وتجالياتها المجتمعية،المناهج الإرشادية والمقاربات"،إشراف عبد الفتاح الزين،أشغال حلقة المواطنة،المعهد الجامعي للبحث العلمي،جامعة محمد الخامس– السويسي ومؤسسة فريديريش إيبرت،11،2008.

7-هيثم مناع،مرجع سبق ذكره،6.

8-علي ليلة،المجتمع المدني العربي،قضايا المواطنة وحقوق الإنسان.مكتبة الانجلو مصرية،القاهرة، جمهورية مصر العربية،77،2007.

9– Bernard Lewis,op.cit,52-54.

10- عاطف غيث،قاموس علم الاجتماع.الهيئة العامة للكتاب،القاهرة،1999،56.

11- معتوق الشريف،المواطنة وأزمة الأصالة.عكاظ العربي،ع924.سبتمبر،23،2006.

12- مصطفى قاسم،التعليم والمواطنة؛واقع التربية المدنية في المدرسة المصرية.تقديم أحمد يوسف سعد،سلسلة أطروحات جامعية1،مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 86،2006.

13- معتوق الشريف،المواطنة وأزمة الأصالة.عكاظ العربي،ع924.سبتمبر،23،2006.

14-مجدي عزيز إبراهيم،المنهج التربوي العالمي(أسس تصميم منهج تربوي في ضوء التنوّع الثقافي) مكتبة الانجلو مصرية،القاهرة،جمهورية مصر العربية،289،2001.

15-أدونيس العكرة،التربية على المواطنية،شروطها في الدول المتجهة نحو الديمقراطية.دار الطليعة، بيروت،لبنان،2007، 65-67.

16-عبد الكريم نصّار راشد بن حسين& الناصر صالح عبد العزيز،التربية الوطنية في مدارس المملكة العربية السعودية؛دراسة تحليلية مقارنة في ضوء التوجهات التربوية الحديثة.دراسة مقدمة للقاء المستوى الثالث عشر(13) لقادة العمل التربوي،8،2005.

17-عبد الله الخياري،مرجع سبق ذكره،17، 18.

18-أدونيس العكرة،مرجع سبق ذكره،12، 13.

19-عبد الله الخياري،مرجع سبق ذكره،12، 13.

20-يوسف عواد و[آخ]،حقوق الإنسان في الحياة التربوية،الواقع والتطلعات.دار المناهج للنشر والتوزيع عمان،الاردن،2007، 196.

21-Buts,F.R.The Morality of Democracy citizenship ;Goals for civic Education in the republics third century,2000.P.06,http//www.civiced.org/morality/morality-toc.html.

22- مصطفى قاسم،77.

23- حســن محمد مجاهد،فكري حسان،محمد عطوة محمد السيد علي،التعليم الجامعي الخاص:التطور والمستقبل.دار الجامعة الجديدة،جمهورية مصر العربية،147،2008.

24- رمزي أحمد عبد الحي،التعليم العالي الالكتروني:محدداته ومبرراته ووسائطه.دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،جمهورية مصر العربية.19،2005.

25- Serge Moscovici, La psychologie Sociale, puf,Paris ,1984,36.

26- Abric. J.C,Pratiques sociales et représentations.puf ,Paris,1994, 45.

27-Michel-Louis Rouquette, Patrick Rateau, Introduction à l'étude des représentations sociales. Presses universitaires de Grenoble, 1998,7.

28-Claude Flament, Michel-Louis Rouquette, Anatomie des idées ordinnaires,comment étudier les Représentations sociales. Armand Colin,2003,59.

29-Michel-Louis Rouquette,Patrick Rateau,Op.cit,63,64.

30- Christian Guimelli, Le modèle des schèmes cognitifs de base (SCB) ; méthodes et applications, méthodes d'études des représentations sociales, sous la direction de Abric J.C.Ed Eres ,Paris,2003, 134.

31-Michel-Louis Rouquette,Patrick Rateau,Op.cit,105.

* المقابل له في اللـغة الانجليزية citizenship والمواطن citizen وفي اللغة الفرنسيـة citoyenneté وCitoyen .

** نظم الدستور الجزائري حقوق وواجبات المواطنة في المادة(29) التي تقول أن"كـل المواطنين سواسية أمام القانون.ولا يمكن أن يُتذرع بأي تمييز يرجع سببه للمولد أو العرق أو الجنس أو الرأي أو أي شـرط أو ظرف آخر،شخصي أو اجتماعي".(Code civil,2002,12.)